# الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كتابه "السياسة الشرعية":فَأَمَّا إنْ امْتَنَعَ مِنْ الْإِخْبَارِ وَالْإِحْضَارِ، لِئَلَّا يَتَعَدَّى عَلَيْهِ الطَّالِبُ أَوْ يَظْلِمَهُ. فَهَذَا مُحْسِنٌ. وَكَثِيرًا مَا يَشْتَبِهُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، ويجتمعُ شبهةٌ وشهوةٌ.وَالْوَاجِبُ تَمْيِيزُ الْحَقِّ مِنْ الْبَاطِلِ.

وَهَذَا يَقَعُ كَثِيرًا فِي الرُّؤَسَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ، إذَا اسْتَجَارَ بِهِمْ مُسْتَجِيرٌ، أَوْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَرَابَةٌ أَوْ صَدَاقَةٌ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَالْعِزَّةَ بالإثم، وَالسُّمْعَةَ عِنْدَ الْأَوْبَاشِ: أَنَّهُمْ يَنْصُرُونَهُ وَيَحْمُونَهُ -وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا مُبْطِلًا- عَلَى الْمُحِقِّ الْمَظْلُومِ؛ لَا سِيَّمَا إنْ كَانَ الْمَظْلُومُ رَئِيسًا يُنَاوِئُهُمْ ويناوئونه، فيرون في تسليم المستجير بهم إلى من يناويهم ذُلًّا أَوْ عَجْزًا؛ وَهَذَا -عَلَى الْإِطْلَاقِ- جَاهِلِيَّةٌ محضة. وهي مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ فَسَادِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.وقَدْ ذُكر أنّه إنّما كانَ سَبَبُ كَثِيرٍ مِنْ حُرُوبِ الْأَعْرَابِ، كَحَرْبِ الْبَسُوسِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ بَنِي بَكْرٍ وَتَغْلِبَ، إلَى نَحْوِ هَذَا، وكذلك سبب دخول الترك، والمغول دار الإسلام، واستيلائهم عَلَى مُلُوكِ مَا وَرَاءِ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ:كَانَ سببه نحو هذا.

وَمَنْ أَذَلَّ نَفْسَهُ للهِ فَقَدْ أَعَزَّهَا، وَمَنْ بَذَلَ الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ فَقَدْ أَكْرَمَ نَفْسَهُ. فَإِنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ.وَمَنْ اعْتَزَّ بِالظُّلْمِ:مِنْ مَنْعِ الْحَقِّ، وَفِعْلِ الْإِثْمِ، فَقَدْ أَذَلَّ نَفْسَهُ وَأَهَانَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10].وَقَالَ تَعَالَى عَنْ الْمُنَافِقِينَ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ هَذَا الضَّرْبِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: 204 - 206]}.

قال -رحمه الله تعالى-:"فَأَمَّا إنْ امْتَنَعَ مِنْ الْإِخْبَارِ وَالْإِحْضَارِ، لِئَلَّا يَتَعَدَّى عَلَيْهِ الطَّالِبُ أَوْ يَظْلِمَهُ. فَهَذَا مُحْسِنٌ".

- الكلام كما هو معلومٌ هو ما يجب على ولي الأمر من حفظ حقوق الناس، وحفظها لهم، سواءً بالبقاء عليها، أو بكف الظلم عن من يريد أن يأخذ حقوقهم، ثم تكلم عن وجوب إعانة الرعية للإمام، أن يساعدوه في ما

لو احتاج إلى عونٍ من الناس، على كف هؤلاء الظلمة، أو هؤلاء المعتدين، أو هؤلاء الذين يتطاولون على حقوق الناس، فإن على الناس أن تُعين الإمام.

- ثم ذكر أوجه الإعانة ، وأن الإعانة يجب أن تكون خالصةً لله، وأن تكون إعانةً فعلًا لمن وقع عليه الظلم، ولا تكون كما مر معنا، لا تكون محاباةً، أو حميةً، أو عصبيةً، أو نحو ذلك، معلومٌ أن هذا لا يجوز، وأن هذا ليس من النصح المطلوب، ولا من الإعانة المطلوبة.
- ثم أتى بنوعٍ آخر، وهو أنه وقد يكون يمتنع عن المساعدة، ولهذا قال: "فَأَمَّا إِنْ امْتَنَعَ" يعني أن يخبر الإمام، أو يخبر نائبه، سواءً كان القاضي، أو كان واليًا إلى آخره، "فَأَمَّا إِنْ امْتَنَعَ مِنْ الْإِخْبَارِ وَالْإِحْضَارِ، لِئَلَّا يَتَعَدَّى عَلَيْهِ الطَّالِبُ أَوْ يَظْلِمَهُ" بمعنى إذا خاف على من هذا الذي فعلًا وقع منه تعدٍّ على حق غيره، لكنه يخشى إن أخبر عنه أن يناله ظلمٌ، بمعنى سواءً من الوالي، أو من صاحب الحق، بمعنى أنه يأخذ أكثر من حقه، فإذا خشي أن يقع على هذا، وإن كان هو ظالمًا، وإن كان فعلًا معتديًا، لكن إذا خشي الذي يعلم حاله، ويعلم أنه إذا أخبر عنه أن يقع عليه ظلمٌ أكبر، فإنه لا يلزمه أن يخبره، ولهذا قال: "فَأَمَّا إِنْ امْتَنَعَ مِنْ الْإِخْبَارِ وَالْإِحْضَارِ" الإخبار عنه، أو إحضاره إلى الوالي أو إلى القاضي "لِئَلَّا" امتنع لماذا؟ "لِئَلَّا يَتَعَدَّى عَلَيْهِ الطَّالِبُ أَوْ يَظْلِمَهُ" سواءً كان الطالب هو الإمام أو نائبه، أو كان صاحب الحق، فإذا خشي أنه يظلمه، "فَهَذَا مُحْسِنٌ"، يعني محسنٌ بامتناعه عن الإعلام والإخبار.
- ثم يقول: "وَكَثِيرًا مَا يَشْتَبِهُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ" بمعنى هل هو لشبهةٍ أو لشهوةٍ، بمعنى أحيانًا هو امتنع فهل فعلًا امتنع لأنه يخشى أن يقع على هذا الرجل ظلمًا زائدًا، أو تعديًا؟ أو أنه امتنع محاباةً، وعصبيةً، ومما لأةً، ولهذا قال: "فإنه قد يَشْتَبِهُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، ويجتمعُ شبهةٌ وشهوةٌ"، ولهذا الشبهة والشهوة، خاصةً الشبهة، أحيانًا تكون قلبيةً، ولهذا أحيانًا قد يكون ردها إلى الإنسان نفسه، وإلى فقه نفسه، وإلى تقواه وإلى ورعه، فإذا كان عنده من الدين وعنده من الورع، وعنده من التقوى، وعنده من الإنصاف، حينئذٍ لا يلتبس عليه أو يختلط عليه ما كان شبهةً، وما كان شهوةً.
- قال: "وَالْوَاجِبُ تَمْيِيزُ الْحَقّ مِنْ الْبَاطِلِ"، قال: "وَهَذَا يَقَعُ كَثِيرًا" الذي هو الخلط بين العصبية، وبين الشهوة، وبين الشبهة.

قال: "وَهَذَا يَقَعُ كَثِيرًا فِي الرُّؤَسَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ، إِذَا اسْتَجَارَ بِهِمْ مُسْتَجِيرٌ، أَوْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَرَابَةٌ أَوْ صَدَاقَةٌ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ".

- بمعنى: عصبية، ويمنع لقرابته، أو لقبليته، أو لأنه زعيمٌ، بمعنى الذي امتنع عن الإخبار والإعلام لأنه زعيمٌ وكبيرٌ، ويظن أن هذا ينال من رئاسته، أو ينال من مقامه، أو سيادته على قومه، "فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَالْعِزَّةَ بالإثم" بمعنى يعتزون بالإثم، وسوف نشرحها بعد قليلٍ -إن شاء الله-. "وَالسُّمْعَةَ عِنْدَ الْأَوْبَاشِ" الأوباش: المراد بها هنا: الأتباع، أو عند العامة، العامة أو الأتباع، وإلا أصل الأوباش في المصطلح العربي هم: الأخلاط، الأخلاط من القبائل وغيرهم، ويقال: أوباشٌ، ويقال: أبواش، في اللغة تتبادل الحرفان: أبواش، وأوباش، وكما أنه يطلق الأوباش على سفلة الناس، أيضًا يطلق عليهم أوباشًا، وأيضًا كذلك يقولون:

وبش الكلام، يعني رديئه، المقصود هنا: العوام أو الأتباع، إذا كان رئيس قبيلةٍ، أو كان أمير قريةٍ، أو مسئولًا عن جماعةٍ، فالأوباش هم الأتباع والعامة.

فهو يخشى "وَالسُّمْعَةَ عِنْدَ الْأَوْبَاشِ، أَنَّهُمْ يَنْصُرُونَهُ وَيَحْمُونَهُ -وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا مُبْطِلًا- عَلَى الْمُحِقِّ الْمَظْلُومِ: لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَظْلُومُ رَئِيسًا يُنَاوِئِهِمْ ويناوئونه".

- أحيانًا فعلًا قد يكون المظلوم رئيسًا، فهم أيضًا لا ينتصرون له؛ لأنهم يرون أن النصرة له أو إيصال الحق له أن هذا ضعفٌ.

"فيرون في تسليم المستجير بهم إلى من يناويهم ذُلًّا أَوْ عَجْزًا".

- وهذا فعلًا خطيرٌ، ولهذا قال الشيخ: فعلًا يجتمع شبهةٌ وشهوةٌ. شبهةٌ سيأتي بيان الشبهة، لكن الشهوة مثل هذه، أن يكون رئيسًا، وأن يكون كذا، ويخشى على سمعته، أو عصبيةً وحميةً، كل هذه شهوةٌ.
- قال: "وَهَذَا عَلَى الْإِطْلَاقِ" يعني مطلقًا "جَاهِلِيَّةٌ" محضة".

قال: "وهي مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ فَسَادِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا".

- وهذا حقٌّ، لا تفسد الدنيا ولا الدين إلا بهذا النوع من الظلم، وهو منع تسليم من عليه الحق لمن يأخذ منه الحق، وهذا هو الفساد.

"وَقَدْ ذُكر أنَّه إنَّما كانَ سَبَبُ كَثِيرٍ مِنْ حُرُوبِ الْأَعْرَابِ، كَحَرْبِ الْبَسُوسِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ بَنِي بَكْرٍ وَتَغْلِبَ، إلَى نَحْوِ هَذَا".

- يعني لهذه العصبية، وهذه بمعنى أنهم يحمون الظالم، ويمنعون من استيفاء الحق منه.

"وكذلك سبب دخول الترك، والمغول دار الإسلام"

- لأنه كان أيضًا الولاة فيهم فسادٌ، وفيهم أيضًا منع المظلوم من أن ينال حقه، ويحمون الظالم.
- "واستيلاؤهم عَلَى مُلُوكِ مَا وَرَاءِ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ: كَانَ سببه نحو هذا".
- ثم قال: "وَمَنْ أَذَلَّ نَفْسَهُ للهِ فَقَدْ أَعَزَّهَا"، وهذا هو الذي يجب أن يستقر في نفوس كل مسلمٍ، فضلًا عن العلماء، وعن الوجهاء، وعن أصحاب الذين فعلًا يلجأ الناس إليهم، والذين أيضًا تُنال الحقوق عن طريقهم.

قال: "وَمَنْ أَذَلَّ نَفْسَهُ للهِ فَقَدْ أَعَزَّهَا وَمَنْ بَذَلَ الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ فَقَدْ أَكْرَمَ نَفْسَهُ. فَإِنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ".

- هذا النوع من التفسير أو التأويل لقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، يعني التقوى لاشك أنها تنتظم كل شئون أفعال المسلم، وأفعال الإنسان، فبقدر ما يكون الإنسان نقيًّا في أفعاله يكون كريمًا على الله -عزَّ وجلَّ- وكريمًا على الناس، ولهذا قال: من أذل نفسه لله ومن بذل الحق من نفسه، فقد أعزها، وقد أكرم نفسه، "فَإِنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ".

قال: "وَمَنْ اعْتَزَّ بِالظُّلْمِ".

- وهذا مع الأسف أنه كثيرٌ عند النفوس، والعصبيات، وكل ما قلّ الورع، وقلّ الدين، وقلّ الفقه ومع الأسف أنه يسود مثل هذا.

**قال: "وَمَنْ اعْتَزَّ بِالظُّلْمِ مِنْ مَنْعِ الْحَقِّ، وَفِعْلِ الْإِثْمِ، فَقَدْ أَذَلَّ نَفْسَهُ وَأَهَانَهَا".**

- يظن أنه اعتز، بينما أذل، "فَقَدْ أَذَلَّ نَفْسَهُ وَأَهَانَهَا"، هذه قضايا كما قال: إنه شبهةٌ وشهوةٌ، هو يظن أنه يرتفع في الدنيا، ويظن أنه تكون له السمعة الكبيرة، والمقام الكبير، والمقام الأرفع عند الناس، يقول: لا، من فعل ذلك أذل نفسه، ومنع الحق، وفعل إثمًا، وأهان نفسه.
- ولهذا قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10]، الذي يريد العزة، طريقها هو الله -سبحانه وتعالى-، ولا يمكن أن تُنال العزة بالظلم، ولا بالكذب، ولا بالافتراء، ولا بالعصبية، ولا بالحمية أبدًا.
- ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 8]، طبعًا المنافقون يظنون أو يرون في أنفسهم أنهم الأعزة، وأنهم أهل البلد، وأنهم أهل المدينة، فقالوا هذه المقالة الشنيعة ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، يعني سيمنعون النبي -صلى الله عليه وسلم- من دخول المدينة وأصحابه، ويظنون أنهم هم الأعز بهذا.
- فرد الله -عزَّ وجلَّ- عليهم بقاعدةٍ، وهي: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8]، في كل مكانٍ، وفي كل زمانٍ، وفي كل الأحوال، العزة أبدًا، هي لله ولرسوله وللمؤمنين، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]، قالها متى؟ قالها في أعقاب انكسارٍ يوم أحدٍ، قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾، مع أنهم مهزومون عسكريًّا، قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾، فالمؤمنون هم الأعلون، سواءً في حال الانتصار، أو في حال الهزيمة، في حال الخسارة، وفي حال المكسب، في حال الضعف، أو في حال القوة، ويجب أن يستقر هذا في قلوب المؤمنين عمومًا، ولاسيما أهل العلم والفضل والدعاة والصلاح وولاة الأمور.
- والآية الأخرى أيضًا في سورة النساء، لم يورها الشيخ: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: 138، 139]، وآية البقرة أيضًا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: 204 - 206]، ما معنى ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾؟ أخذته العزة بالإثم، فإذا قيل له: اتق الله، بمعنى راقب الله -عزَّ وجلَّ- وخفه في ما وعظ به، إن كان مالًا، إن كان حقًّا، أي حال يكون عليه هذا الموعوظ، فقيل له:اتق الله، طبعًا عادة لا يوعظ إلا في حال قصور، وفي حال تقصير، وفي حال غفلةٍ، فينبه، فهذا الموعوظ حينما قيل له:اتق الله، أخذته العزة بالإثم، فمعنى:اعتز بإثمه، أخذته العزة بالإثم، يعني انصرف -نسأل الله السلامة- عن تقوى الله، واعتز بإثمه، يعني اعتز بانحرافه، واعتز بما هو عليه من الانحراف، وما هو عليه من الظلم، وما هو عليه من المعصية أو المخالفة، فإما أن ينفي، يقول: ما فعلتُ شيئًا، وإما أن يقول: هذا ما فيه شيءٌ، وإما أن يحاول أن يسوّغه، أو يبرره، فهذا هو الاعتزاز بالإثم، بمعنى أنه لم يتق الله، ولهذا قلنا قبل قليلٍ كما قال الشيخ:أن من أكرم نفسه هو الأكرم عند الله، لأن الله قال:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فجميلٌ لأن الناس دائمًا يستخدمون هذه الآية، لكن قد لا يستحضرون معناها، ﴿إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾، يعني اعتز بإثمه، يعني بمعنى كأنه في مقابل أن يستجيب، وأن ينصاع لمن وعظه بتقوى الله، وهو يتقي الله، لا، اعتز بإثمه، وشبه استكبر، بحيث أنه لم يستسلم لهذا الناصح الأمين.

{قال -رحمه الله تعالى-:وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ اسْتَجَارَ بِهِ مُسْتَجِيرٌ، إنْ كَانَ مَظْلُومًا يَنْصُرُهُ. وَلَا يَثْبُتُ أَنَّهُ مَظْلُومٌ بِمُجَرَّدِ دَعْوَاهُ؛ فَطَالَمَا اشْتَكَى الرَّجُلُ وَهوَ ظَالِمٌ؛ بَلْ يَكْشِفُ خَبَرَهُ مِنْ خَصْمِهِ وَغَيْرِهِ، فَإِنْ كَانَ ظَالِمًا رَدَّهُ عَنْ الظُّلْمِ بِالرِّفْقِ إنْ أَمْكَنَ؛ إمَّا مِنْ صُلْحٍ أَوْ حُكْمٍ بِالْقِسْطِ، وَإِلَّا فَبِالْقُوَّةِ. وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا ظَالِمًا مَظْلُومًا كَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ، مِنْ قَيْسٍ وَيَمَنٍ وَنَحْوِهِمْ. وَأَكْثَرُ الْمُتَدَاعِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْبَوَادِي، أَوْ كَانَا جَمِيعًا غَيْرَ ظَالِمَيْنِ لِشُبْهَةٍ أَوْ تَأْوِيلٍ، أَوْ غَلَطٍ وَقَعَ فِيمَا بَيْنَهُمَا، سَعَى بَيْنَهُمَا بِالْإِصْلَاحِ، أَوْ الْحُكْمِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 9 - 10]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]، وقد روى أبو داود في السنن. عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَمِنْ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ فِي الْحَقِّ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا»، قَالَ: «وَلَكِنْ مِنْ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ فِي الْبَاطِلِ»، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ الْمُدَافِعُ عَنْ قَوْمِهِ مَا لَمْ يَأْثَمْ». وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَنْصُرُ قَوْمَهُ بِالْبَاطِلِ كَبَعِيرٍ تَرَدَّى فِي بِئْرٍ فَهُوَ يُجَرُّ بِذَنَبِهِ». وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعْتُمُوهُ يَتَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِّ أَبِيهِ. وَلَا تُكَنُّوا»، وَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ: مِنْ نَسَبٍ أَوْ بَلَدٍ، أَوْ جِنْسٍ أَوْ مَذْهَبٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ: فَهُوَ مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. بَلْ لَمَّا اخْتَصَمَ رَجُلَانِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ». وَغَضِبَ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا}.

قال -رحمه الله-: "وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ اسْتَجَارَ بِهِ مُسْتَجِيرٌ، إنْ كَانَ مَظْلُومًا يَنْصُرُهُ" إلى آخره.

- هذه أيضًا ضبط -رحمه الله- في هذا المسار، وهو من ادعى المظلومية، وادعى أنه مظلومٌ، لا يُسمع كلامه مباشرةً، وإنما على من يستطيع أن يأخذ الحق أو أن يُبلِّغ أو أن يُعلِم، إلى آخره، عليه أن يتثبت.

قال: "وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ اسْتَجَارَ بِهِ مُسْتَجِيرٌ، إنْ كَانَ مَظْلُومًا يَنْصُرُهُ"، ثم قال: "وَلَا يَثْبُتُ أَنَّهُ مَظْلُومٌ بِمُجَرَّدِ دَعْوَاهُ؛ فَطَالَمَا اشْتَكَى الرَّجُلُ وَهوَ ظَالِمٌ".

- وهذا صحيحٌ، يعني لا تُقبل الدعوة، بمجرد، حتى ولو رأيت عليه آثار اعتداءٍ، أو آثار أنه مظلومٌ، الله -عزَّ وجلَّ- قال في إخوة يوسف: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: 16]، فمظهر البكاء قد يدل على أن الإنسان مظلومٌ، وأنه مُحقٌّ، وأنه صاحب حقٍّ، ولهذا: من جاءك وقد فُقِئت عينه، فقد يكون الآخر قد فُقِئت عيناه، فمن هنا شدد الشيخ -رحمه الله- على التثبت، فقال: "وَلَا يَثْبُتُ أَنَّهُ مَظْلُومٌ بِمُجَرَّدِ دَعْوَاهُ؛ فَطَالَمَا

اشْتَكَى الرَّجُلُ وَهوَ ظَالِمٌ، بَلْ يَكْشِفُ خَبَرَهُ مِنْ خَصْمِهِ وَغَيْرِهِ"، بمعنى: يتبين له إذا الطرف فقد يرى اعتداءً أكثر، أو يرى كذا وكذا، أو من غيره بالأمارات والبينات، وغيرها من أدوات كشف الحقيقة.

- قال: "فَإِنْ كَانَ ظَالِمًا" هذا الذي استجار به "فَإِنْ كَانَ ظَالِمًا رَدَّهُ عَنْ الظُّلْمِ بِالرِّفْقِ إِنْ أَمْكَنَ"، ولاشك أن هذه هي أول المراحل، أن تكون بالرفق.

### "إِمَّا مِنْ صُلْحٍ أَوْ حُكْمٍ بِالْقِسْطِ، وَإِلَّا فَبِالْقُوَّةِ"

- بصلح إذا كان الحق فيه ظاهرًا، طبعًا لا يكون فيه صلحٌ، إلا إذا كان الحق مشتبهًا، أما إذا كان الحق بيّنًا فلا ينبغي أن يلجأ القاضي أو غيره ممن صار في مقام التحكيم، إذا كان الحق بَيّنًا، فلا يلجأ إلى الصلح؛ لأن الحق بيّنٌ، ولهذا أحيانًا قد يكون فعلًا المتخاصمون حينما يكونون بين يدي القاضي، ثم يحاول أن يطلب القاضي منهم صلح، قد يقولون: نحن ما جئناك لتصالحنا، إنما جئنا لحقنا، ففعلًا، فإذا كان الحق بيّنًا، فلا ينبغي للقاضي أن يلجأ للصلح، بل أحيانًا قد لا يكون هذا من القضاء العدل، مادام أن الحق بيّنٌ، وظهر ببيناتها، وبنحوها، والقرائن أن صاحب الحق هو هذا وليس ذاك، فلا ينبغي أن يدخل في الصلح، إلا عند الاشتباه كما يقول الشيخ.

### "إِمَّا مِنْ صُلْحٍ أَوْ حُكْمٍ بِالْقِسْطِ" إذا كان هذا يكفي، "وَإِلَّا فَبِالْقُوَّةِ"

- يعني يرده، إذا كان يملك القوة، كأن يكون قاضيًا، أو يكون واليًا يملك القوة والسلطة، أما إذا كان من الناس الذين ليس لهم سلطةٌ، معلومٌ أن هذا لا يُكلَّف أن يأخذ الحق بالقوة، بل قد يترتب عليه ضررٌ أكبر، بل قد يكون افتياتٌ على الإمام، وعلى نوابه.

### قال: "وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا ظَالِمًا مَظْلُومًا".

- تبين له أن كلهم ظالم ومظلوم "كَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ، مِنْ قَيْسٍ وَيَمَنٍ وَنَحْوِهِمْ" قيس ويمن قبائل، "وَأَكْثَرُ الْمُتَدَاعِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْبَوَادِي"، يعني يكون ظالم ومظلوم، الأمور ملتبسة، "أَوْ كَانَا جَمِيعًا غَيْرَ ظَالِمَيْنِ" تبين له أن عندهم شبهةٌ، كلهم هم طيبون وكذا، لكنهم اختلفوا لأن عندهم التباسًا، فإذا كانوا جميعًا ظالمين، أو فيه التباسٌ، حينئذٍ يسعى بينهما بالإصلاح أو بالحكم أيضًا، طبعًا غير ظالمين للشبهة أو تأويلٍ أو غرضٍ إلى آخره، كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: 10]، والله لم يُبيّن من هي الظالمة، أو الباغية، ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾.
- ﴿فَإِن بَغَتْ﴾، حينئذٍ تبين من هو الظالم، ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ أيضًا، ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10]، وقال في الآية الأخرى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114]، إذن ثلاثة أمورٍ هي خيرٌ من كثيرٍ من نجوى الناس وتناجيهم، والكلام الذي يجري بينهم، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114].

- إذن في قوله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾، بمعنى:أن ما يتناجى فيه الناس فيخوضون في أحاديثهم، كثيرٌ فيه لا خير فيه، ليس بالضرورة أن يكون فيه إثمٌ، لكن ما فيه خيرٌ. ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ ما قال: من تصدق، ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، لاشك أن من تصدق أفضل، لكن الكلام في الحديث، والكلام في ما يصدر من الناس وبين الناس من نجوى، ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ يعني إحسانٌ، قد يأمر غنيًا، أو يأمر مستطيعًا، أو يُذكِّر، ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ طبعًا المعروف لاشك أنه لما وضع مقابل الصدقة، بمعنى أنه يبدو في ما يجري بين الناس من وجوه الإحسان ووجوه حسن المعاملات والعلاقات، ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، بمعنى إذا كان بينهما متخاصمين أو متشاكلين أو بينهما أمورٌ تستحق التدخل من أجل الصلح لإزالة ما في النفوس والخواطر وفي القلوب، فهذا أيضًا من خير ما يفعله الناس في نجواهم.
- ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾، إذن عندنا أن التصدق فيه خيرٌ مطلقٌ، والمعروف خيرٌ مطلقٌ، والإصلاح خيرٌ مطلقٌ، حتى وإن لم يقصد به وجه الله، لأن الصدقة إحسانٌ، والمعروف إصلاحٌ وإحسانٌ، والإصلاح كذلك إحسانٌ، لكن يزيد أن من ابتغى من يفعل ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا، فالأجور العظيم لمن أخلص وأحسن نيته.
- ثم أورد في ذلك أحاديث الشيخ، حديث أبي داود في السنن "عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَمِنْ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ فِي الْحَقِّ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا»" إذن الميزان ظاهرٌ مادام الإنسان مظلومٌ، وصاحب حقٍّ، فيُنصر، حتى ولو كان من جماعتك، ولو كان من طائفتك، ومن مذهبك، فإن حقه أن يُنصر.

قال: "أَمِنْ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ فِي الْحَقِّ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا»، قَالَ: «وَلَكِنْ مِنْ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ فِي الْبَاطِلِ»"

- هذا عصبيةٌ، وإن شئتم هذا هو ميزان الحزبية، و هو أن تنصر أهل الباطل، أو تكون معهم على حقهم وباطلهم، ولهذا جاء في الحديث الآخر الذي أورده الشيخ، قال: «خَيْرُكُمْ الْمُدَّافِعُ عَنْ قَوْمِهِ مَا لَمْ يَأْثَمْ» ، يعني ما لم يقع في الإثم إما بعصبيةٍ، أو بظلمٍ، أو بحيفٍ، أو نحو ذلك، وإلا لاشك أن المدافعة عن القوم إذا كانوا مظلومين، أو إذا كانوا على الحق، ويؤخذ منهم الحق، فنعم، ولا يُعَدُّ هذا عصبيةً، فالمدافع عن قومه، وعن حزبه، وعن طائفته، وعن مذهبه، مادام أنهم مظلومون، فهذا ليس ممنوعًا في الإسلام، إنما الممنوع العصبية، وممنوع أن تدافع عن الباطل، وعن أخطاء المذاهب، وأخطاء الأحزاب، وأخطاء الطوائف.

"وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَنْصُرُ قَوْمَهُ بِالْبَاطِلِ كَبَعِيرٍ تَرَدَّى فِي بِئْرٍ فَهُوَ يُجَرُّ بِذَنَبِهِ» " وَضُبِطَ أيضًا: «فَهُوَ يَجُرُّ بِذَنَبِهِ».

- بمعنى: يجر البعير من ذنبه من البئر، ولا يستطيع إخراجه؛ لأن البعير إذا تردى وسقط في بئرٍ، لا يمكن إخراجه بأن تجره بذنبه، بمعنى أنك لن تصل إلى نتيجةٍ، بل سيتسبب في الهلاك، ولهذا الشيخ ابن الأثير في "النهاية" قال: "أُريد أن يُنزع بذنبه، فلا يُقدر على خلاصه". ولاشك طبعًا، ثِقل البعير، وكبره، وضيق البئر، وصغر الذيل، لا يمكن أن يُنقذ البعير وقد سقط في بئرٍ بأن تجره بذنبه، هذا لا يمكن، بمعنى أنك لن تصل إلى حقٍّ ولا نتيجةٍ، وإنما تزداد في الباطل.

- «كَبَعِيرٍ تَرَدَّى فِي بِئْرٍ فَهُوَ يُجَرُّ بِذَنَبِهِ» ، أو «يَجُرُّ»، يعني الناصب، الناصب هو الذي يجر، أو يُجُرُّ البعير يُجَرُّ، فضُبط بالضبطين.

"وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعْتُمُوهُ يَتَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِّ أَبِيهِ»"

- هَنِّ أبيه: يعني ذكر أبيه، لماذا؟لأن العصبية ما كان لك علاقةٌ بعصبيةٍ إلا عن هذا الطريق، طريق ذكر أبيك، وهذا ليس لك فيه فضلٌ، وليس لك فيه كسبٌ، وإنما أتيت من هذا الطريق، الذي أحيانًا أيضًا طريقتك قد يكون من ماءٍ مهينٍ، من أين أتيت، فمن هنا ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا التمثيل العجيب، بل قال: «وَلَا تُكَنُّوا»، لأن الهَن، هو طبعًا هَن بمعنى: حقٍّ، يعني فهو تكنيةٌ، ولهذا ممكن تستعمل هَن في غيرها، هَن كذا، يعني حقًّا، وهي تعبر بالشيء حينما لا يُصرَّح باسمه، إما لأنه لم يستحضر اسمه، وإما لأنه يُكنَّى لأنه معيبٌ أن تذكره، الهَن، وأحيانًا تقول الحق، حتى في العامية في نجد فيه ناسٌ تقول الحق، حق فلانٍ، والحق الفلاني، بمعنى تريد تعبر عن شيءٍ آخر، ولا تريد الحق الذي هو مقابل الباطل، لا، إنما الشيء.
- «فَأَعِضُّوهُ بِهَنِّ أَبِيهِ. وَلَا تُكَنُّوا» ، ثم قال: "وَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ" وهذا ضابطٌ يا إخوان ينبغي أن يفقهه أهل العلم، ولاسيما في وقتنا الحاضر، حينما ابتلي الناس بالتصنيف، وابتلوا بوجود الأحزاب، ووجود المذاهب، والفرق، والطوائف، هذه سنة الله في البشرية كلها، وليس المسلمين وحدهم، وجود الفرق والمذاهب والقبائل والمناطق وانقسام الناس بأنواع الانقسامات، هذا سنة الله، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: 118، 119]، ولهذا أقر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن تدافع عن قومك بالحق، وليس من عصبيةٍ، فأن تدافع عن مذهبك بالحق، أو عن طائفتك بالحق، أو عن حزبك بالحق، هذا لا إشكال فيه، إنما الإشكال كما قال الشيخ "وَكُلُّ مَا خَرَجَ"، وهذا ضابطٌ ينبغي أن يفقهه، وأن يتمثله، وأن يستيقنه أهل العلم خاصةً، وعموم الدعاة والمسلمين عامةً.

"وَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ: مِنْ نَسَبٍ أَوْ بَلَدٍ، أَوْ جِنْسٍ أَوْ مَذْهَبٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ: فَهُوَ مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ".

- بمعنى أنه خرج عن الحق ، "بَلْ لَمَّا اخْتَصَمَ رَجُلَانِ" وهذا من أجمل الأمثلة، ومن أظهرها، ومن أبرزها بنص رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، "بَلْ لَمَّا اخْتَصَمَ رَجُلَانِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ:يَا لَلْأَنْصَارِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ».
- تعرفون اختصموا على بئر ماءٍ أظن في غزوة بني قريظة، فاختصم غلامان، فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، لاشك أنها طبعًا دعوةٌ عصبيةٌ، مع أن الأنصار وصف مدحٍ، والمهاجرون وصف مدحٍ، الله -عزَّ وجلَّ- أثنى على المهاجرين، فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: 8]، وقال في الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: 9]، فوصف الأنصار وصف مدحٍ، ولهذا الرسول قال حينما قسَّم غنائم حنين، قال: «أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ» ، يعني مع الأنصار، فقال: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ

«الْأَنْصَارِ» ، فالأنصار وصف مدح، والمهاجرون وصف مدحٍ، والمهاجرون أفضل من الأنصار، لماذا؟ لأن المهاجرين الله وصفهم بالوصفين، أنهم مهاجرون، وأنهم ينصرون، ولهذا قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: 8]، فلهم الوصفان، لهم وصف الهجرة، ولهم وصف النصرة، ومع هذا حينما تداعاها هذان الغلامان على جهة العصبية، مباشرةً، نبينا محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- يعني إن صحَّ التعبير أصدر قاعدته: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» فهذه دعوةٌ جاهليةٌ، فكذلك أي تحزبٍ على مذهبٍ، أو تحزبٍ على طائفةٍ، أو تحزبٍ على منطقةٍ، أو على قومٍ، أو على قبيلةٍ، كله من هذا القيل، ولهذا غضب النبي -صلى الله عليه وسلم- لذلك غضبًا شديدًا.

{قال -رحمه الله تعالى-: فصل وَأَمَّا السَّارِقُ فَيَجِبُ قَطْعُ يَدِهِ الْيُمْنَى بِالْكِتَابِ والسنة والإِجْمَاعِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 38 - 39].

وَلَا يَجُوزُ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحَدِّ بِالْبَيِّنَةِ، أَوْ بِالْإِقْرَارِ تَأْخِيرُهُ: لَا بِحَبْسٍ وَلَا مَالٍ يُفْتَدَى بِهِ وَلَا غَيْرُهُ، بَلْ تُقْطَعُ يَدُهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُعَظَّمَةِ وَغَيْرِهَا. فَإِنَّ إقَامَةَ الْحَدِّ مِنْ الْعِبَادَاتِ، كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ إقَامَةَ الْحُدُودِ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، فَيَكُونُ الْوَالِي شَدِيدًا فِي إقَامَةِ الْحَدِّ، لَا تَأْخُذُهُ رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ فَيُعَطِّلُهُ.

وَيَكُونُ قَصْدُهُ رَحْمَةَ الْخَلْقِ بِكَفِّ النَّاسِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ: لَا شِفَاءَ غَيْظِهِ، وَإِرَادَةَ الْعُلُوِّ عَلَى الْخَلْقِ: بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ إذَا أَدَّبَ وَلَدَهُ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَفَّ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ، كَمَا تُشِيرُ بِهِ الْأُمُّ رِقَّةً وَرَأْفَةً. لَفَسَدَ الْوَلَدُ، وَإِنَّمَا يُؤَدِّبُهُ رَحْمَةً بِهِ، وَإِصْلَاحًا لِحَالِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ يَوَدُّبُهُ وَيُؤْثِرُ أَنْ لَا يُحْوِجَهُ إلَى تَأْدِيبٍ، وَبِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الَّذِي يَسْقِي الْمَرِيضَ الدَّوَاءَ الْكَرِيهَ، وَبِمَنْزِلَةِ قَطْعِ الْعُضْوِ الْمُتَآكِلِ، وَالْحَجْمِ، وَقَطْعِ الْعُرُوقِ بِالْفِصَادِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ بَلْ بِمَنْزِلَةِ شُرْبِ الْإِنْسَانِ الدَّوَاءَ الْكَرِيهَ، وَمَا يُدْخِلُهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ الْمَشَقَّةِ لِيَنَالَ بِهِ الرَّاحَةَ.

فَهَكَذَا شُرِعَتْ الْحُدُودُ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ نِيَّةُ الْوَالِي فِي إقَامَتِهَا، فإنه مَتَى كَانَ قَصْدُهُ صَلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرَاتِ، بِجَلْبِ الْمَنْفَعَةِ لَهُمْ، وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ عَنْهُمْ، وَابْتَغَى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَطَاعَةَ أَمْرِهِ: أَلَانَ اللَّهُ لَهُ الْقُلُوبَ، وَتَيَسَّرَتْ لَهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ، وَكَفَاهُ الْعُقُوبَةَ الْبَشَرِيَّةَ، وَقَدْ يُرْضِي الْمَحْدُودَ، إذَا أَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ.

وَأَمَّا إذَا كَانَ غَرَضُهُ الْعُلُوَّ عَلَيْهِمْ، وَإِقَامَةَ رِيَاسَتِهِ لِيُعَظِّمُوهُ، أَوْ لِيَبْذُلُوا لَهُ مَا يُرِيدُ مِنْ الْأَمْوَالِ، انْعَكَسَ عَلَيْهِ مَقْصُودُهُ. وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ كَانَ نَائِبًا لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَدِينَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ قَدْ سَاسَهُمْ سِيَاسَةً صَالِحَةً. فَقَدِمَ الْحَجَّاجُ مِنْ الْعِرَاقِ، وَقَدْ سَامَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ. فَسَأَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَنْ عُمَرَ. كَيْفَ هَيْبَتُهُ فِيكُمْ؟ قَالُوا: مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْظُرَ إلَيْهِ هَيْبَةً لَهُ. فَقَالَ: كَيْفَ مَحَبَّتُكُمْ لَهُ؟ قَالُوا: هُوَ أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ أَهْلِنَا. قَالَ: فَكَيْفَ أَدَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالُوا: مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ الْأَسْوَاطِ إلَى الْعَشَرَةِ. قَالَ: هَذِهِ هَيْبَتُهُ، وَهَذِهِ مَحَبَّتُهُ، وَهَذَا أَدَبُهُ. هَذَا أَمْرٌ مِنْ السَّمَاءِ}.

## قال -رحمه الله- في حد السرقة: "وَأَمَّا السَّارِقُ" إلى آخره.

- طبعًا كما قلنا في قسم الأموال، تكلم فيه الشيخ عن حقوق مسئولية الإمام في إقامة الحدود والحقوق بين الناس، فتكلمنا عن ذلك، وتكلمنا عن عقوبة المحاربين وقُطَّاع الطرق، وأيضًا عن واجب المسلمين إذا طلب

الإمام معونتهم أن يعينوه، فكذلك أيضًا هنا حد السرقة يتكلم عنه، وسوف يتكلم عن حد الزنا كما قلنا، وعن حد الشرب أيضًا، وعن حد القذف، وعن التعزير إلى آخره.

هنا بدأ الكلام على حد السرقة، فقال: "وَأَمَّا السَّارِقُ، فَيَجِبُ قَطْعُ يَدِهِ الْيُمْنَى بِالْكِتَابِ والسنة والإِجْمَاعِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾"

- لاشك طبعًا أن قطع يد السارق هذا مُجمعٌ عليه، وهو من الحدود المُجمع عليها، وأنه تُقطع يده اليمنى في حال سرقته الأولى.

قال: "وَلَا يَجُوزُ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحَدِّ بِالبَيِّنَةِ، أَوْ بِالْإِقْرَارِ تَأْخِيرُهُ"

- مادام ثبت الحد، فليس للإمام أن يؤخره؛ لأن المراد الحسم والحزم، وأيضًا حتى تؤدي العقوبة أثرها، وحتى يؤدي الحد أثره في المحدود وفي الناس؛ لأن إقامة الحدود لاشك أنها طبعًا هي رحمة للناس ، ولهذا لا يؤخره، "لَا بِحَبْسٍ وَلَا مَالٍ"، أيضًا يفاوضه على مال يدفعه مقابل أن يدرأ عنه الحد.
- "وَلَا غَيْرُهُ، بَلْ تُقْطَعُ يَدُهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُعَظَّمَةِ وَغَيْرِهَا"،... أوقات معظمة، سواء قلنا الأشهر الحرم، أو المكان الحرام إلى آخره.

"فَإِنَّ إِقَامَةَ الْحَدِّ مِنْ الْعِبَادَاتِ".

- وهذا أمر يجب أن يتمثله عموم المسلمين، ويتمثله ولاة أمور المسلمين، إقامة الحد عبادةٌ، وطاعةٌ لله -عزَّ وجلَّ-، وقُربة "كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" لأنه يقيم، وترتفع به راية الإسلام، "فَيَنْبَغِي أَنْ يُعرِفَ أَنَّ إِقَامَةَ الْحُدُودِ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ بِعِبَادِهِ"، وهذا يجب أن يستقر حقيقةً، ولاشك أنها عقوبةٌ شديدةٌ، لكنها رحمةٌ، ولهذا سوف يمثِّل الشيخ بالدواء مع أنه كريهٌ، ويمثِّل بقطع اليد إذا تآكلتْ، والآن في عصرنا الحاضر، في ما توصل له الطب من أنواع العلاجات، وأنواع الجراحات، بل حتى أنه يستأصل، يُبقر البطن بقرًا، كما يقال أحيانًا من الوريد إلى الوريد، ومن رأس العنق إلى السرة، كله بضعٌ واحدٌ، ومع هذا من أجل المصلحة، فإقامة الحدود رحمةٌ، كما أن العلاجات رحمةٌ، وكما أن الجراحات رحمةٌ.

"فَيَكُونُ الْوَالِي شَدِيدًا فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ، لَا تَأْخُذُهُ رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ فَيُعَطِّلُهُ، وَيَكُونُ قَصْدُهُ رَحْمَةَ الْخَلْقِ بِكَفِّ النَّاس عَنِ الْمُنْكَرَاتِ"

- أيضًا يقصد إقامة حدود الله، ويقصد رحمة الخلق بكف الناس عن المنكرات، كل هذا ينبغي أن يكون للحاكم هذه النية الصالحة، والنية الخالصة.
- ولا يقصد شفاء غيظه، ولا إرادة العلو، ولا أن يبسط هيبته أو نحو ذلك، لا، يقصد إقامة حق الله -عزَّ وجلَّ- وحد الله -عزَّ وجلَّ-، والرحمة بالناس، ومصلحة الناس، وبسط الأمن ليكف المظالم بين الناس.

ثم قال: "بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ إِذَا أَدَّبَ وَلَدَهُ"

- فهو يُبقي ولده، ويبقى الرأفة والمحبة، ولكن الوالد يؤدِّب، وإن كان التأديب فيه شدةٌ على الابن، وفيه ألمٌ، كذلك أيضًا الولد طبعًا الابن أو البنت.

**"فَإِنَّهُ لَوْ كَفَّ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ، كَمَا تُشِيرُ بِهِ الْأُمُّ"**

- لأن الأم عادةً هي تميل إلى الرقة، وتميل إلى التخفيف، فإنه سوف يفسد الولد. "وَإِنَّمَا يُؤَدِّبُهُ رَحْمَةً بِهِ، وَإِصْلَاحًا لِحَالِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ يَوَدِّبُهُ وَيُؤْثِرُ أَنْ لَا يُؤَدِّبَهُ"، لاشك هو يؤدبه، وهو لا يريد أن يؤدبه، لكنه مضطرٌ إلى ذلك من أجل إصلاحه واستصلاحه.

**وقال: "وَبِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الَّذِي يَسْقِي الْمَرِيضَ الدَّوَاءَ الْكَرِيهَ، وَبِمَنْزِلَةِ قَطْعِ الْعُضْوِ الْمُتَآكِلِ"**

- وذكرنا الطب المعاصر، وما فيه من عملياتٍ جراحيةٍ كبيرةٍ، بل حتى أنهم أحيانًا يفتحون الدماغ كما هو معلومٌ في عملياتٍ عظيمةٍ، تستغرق الساعات، "وَالْحَجْمِ" أي الحجامة يعني "وَقَطْعِ الْعُرُوقِ بِالْفِصَادِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ بَلْ بِمَنْزِلَةِ شُرْبِ الْإِنْسَانِ الدَّوَاءَ الْكَرِيهَ" وهو يدرك المشقة التي يناله بها، سواءً للونه أو طعمه أو رائحته، أو منظره إلى آخره.

**قال: "فَهَكَذَا شُرِعَتْ الْحُدُودُ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ نِيَّةُ الْوَالِي فِي إِقَامَتِهَا، فإنه مَتَى كَانَ قَصْدُهُ صَلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَالنَّهِيَ عَنْ الْمُنْكَرَاتِ، بِجَلْبِ الْمَنْفَعَةِ لَهُمْ.. إلى آخره"**

- فإن الله يعينه، وأن الله يلين له القلوب، وييسر له أسباب الخير، وأيضًا حتى يكفيه العقوبة البشرية، بمعنى أن البشر إذا كانوا بهذه تخف الجرائم، ولا يحتاج إلى أن يعاقب البشر، ولهذا أورد الشيخ قصة عمر بن عبد العزيز مع الحجاج، وهي عجيبةٌ، يعني حينما جاء الحجاج إلى المدينة، ورأى حال المدينة من الهدوء، والأدب، والراحة، فسألهم عن واليهم عمر بن عبد العزيز، كيف هيبته؟ قالوا: ما نستطيع أن ننظر إليه هيبةً، كأنه قال: الهيبة قد تكون للسلطان، ومحبته؟ قالوا: نحبه، فغريبٌ أن تجتمع هيبةٌ ومحبةٌ في واحدٍ إلا على قلةٍ. كيف محبته؟ قالوا: هو أحب إلينا من أهلينا، قال: كيف أدبه فيكم؟ هل كان شديدًا؟ فقالوا: ما بين ثلاثة أسواطٍ إلى عشرةٍ، فما وسعه، طبعًا معروفٌ أن الحجاج حاكمٌ وظالمٌ وجائرٌ، لكنه أيضًا كان عاقلًا، وكان حكيمًا، لكنه هكذا سياسته، لكنه قال هذه الكلمة العجيبة، قال: "هَذِهِ هَيْبَتُهُ، وَهَذِهِ مَحَبَّتُهُ، وَهَذَا أَدَبُهُ" يعني كيف اجتمعت هذه؟ قال: "هَذَا أَمْرٌ مِنْ السَّمَاءِ" وهذا والذي قاله الشيخ قبل قليلٍ: فإن الله يلين له القلوب، وييسر له أسباب الخير، ويكفيه أيضًا حتى عقوبة البشر، أحيانًا لا يعاقب لا على حدودٍ، وإنما عشرة أسواطٍ، وخمسة أسواطٍ، وثلاثة أسواطٍ، إلى آخره، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

